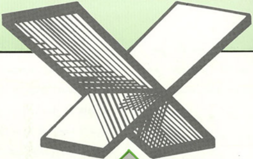

القرآن الكريم

جمعُه و تواتُره

د. حسين مطاوع الترتوري

الدارة ٧

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.(١)

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيبا﴾.(٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾.(٣)

أمّا بعد :

فهذه دراسة لتعريف القرآن الكريم وأسمائه، ولجمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه وبواعثه ولجمع القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه وبواعثه، وإلى مزايا المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه.

ثم تحدثت عن أهم خصائص القرآن الكريم التي تميزه عن غيره وهي التواتر، وبينت شروط القراءة الصحيحة وأن التواتر شرط لها عند جماهير المحققين من العلماء ثم تعرضت للقراءة الشاذة واختلاف العلماء في حجيتها وما ترتب على هذا الاختلاف من مسائل فقهية.

راجيا أن يكون عملي هذا خالصاً لله وأن يجعله ربي في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه سميع مجيب.

تعريف القرآن – الكتاب – وأسماؤه

القرآن مصدر للفعل (قرأ) بمعنى جمع(١). ويأتي القرآن بمعنى القراءة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنَّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾.(٢)

وأما الكتاب في اللغة فيطلق على كل كتابة ومكتوب(٣)، ثم غلب استعمال هذه الكلمة في لغة العرب على القرآن الكريم.

وقد سمَّى الله سبحانه القرآن بأسماء كثيرة منها :(٤)

القرآن : كقوله تعالى : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.(٥)
الكتاب : كقوله تعالى : ﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾.(٦)
الذكر : كقوله تعالى : ﴿إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون﴾.(٧)
التنزيل : كقوله تعالى : ﴿وإنَّه لتنزيل رب العالمين﴾.(٨)
الفرقان : كقوله تعالى : (تبارك الذي نزَّلَ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾.(٩)

وقد اشتهر من الأسماء السالفة الذكر : القرآن، لكونه يتلى بالألسن كما اشتهر من أسمائه الكتاب لكونه مدوناً بالأقلام، وفي هاتين التسميتين إشارة لحفظه فإنه محفوظ في الصدور والسطور معا.

ويمكن أن نعرِّف القرآن بما يمتاز به ونبين خصائصه فنقول هو : كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس المنقول إلينا بالتواتر.

شرح التعريف :

كلام : جنس في التعريف يشمل كلام الله وكلام غيره.

لفظ الجلالة : قيد في التعريف خرج به كلام غير الله كالأحاديث النبوية والقدسية.(١٠)

المعجز: سيأتي تفصيل الكلام عن الإعجاز في بحث مستقل إن شاء الله.

المُنْزَل: قيد خرج به كلام الله غير المنزل لأن كلام الله لا ينحصر في المنزل، قال تعالى: ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾.(١١)

على محمد صلى الله عليه وسلم: قيد خرج به كلام الله المنزل على غير سيدنا محمد من الأنبياء السابقين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

المتعبد بتلاوته: الذي يؤجر المسلم على قراءته.

فعن ابن مسعود قال: «تعلموا هذا القرآن فإنكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول بـ الم ولكن بألف ولام وميم بكل حرف عشر حسنات».(١٢)

المدون بين دفتي المصحف: قيد خرج به ما نسخت تلاوته من القرآن.

كقوله: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة).(١٣)

المنقول إلينا بالتواتر: خرج بهذا القيد القراءة الشاذة.

وسيأتي مزيد من الكلام عن التواتر في هذا المبحث.

● جمع القرآن ●

بعث الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم في أمة أُميَّة، وكان أمياً. قال تعالى: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**﴾(١٤)، **وإذا نزل عليه الوحي بآية حفظها وعلمها أصحابه ليحفظوها في صدورهم، ومنهم من كان يكتبها عنده بحسب طرق الكتابة المعروفة لديهم. فكان القرآن محفوظاً في الصدور وفي السطور معاً، إلاَّ أن الأصل والأساس في حفظه زمن الصحابة حفظه في الصدور لأنهم أمة أُميَّة كما سبق أن ذكرت ولعدم تيسر أدوات الكتابة في زمانهم، وهذه مزية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، بخلاف أمم الأنبياء السابقين فإنهم كانوا يعتمدون على ما كتبوه في وقت متأخر كما هو معلوم.**(١٥)

ومن هنا كثر الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن ولا أدل على ذلك مما قيل

إن قتلى معركة اليمامة كانوا سبعين وقتلى بئر معونة كانوا مثلهم.(١٦)

وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتبة للوحي يكتبونه فيما تيسر لديهم من العُسُب واللِّخاف والرقاع وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع(١٧)، ويضعون ما يكتبونه عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتباً في موضعه كما يأمرهم بذلك صلى الله عليه وسلم. روي عن ابن عباس أنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا».(١٨)

وكان ممن اتخذهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكتابة القرآن أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأبان ابن سعيد وخالد بن الوليد، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت.(١٩)

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ في صدور عدد كبير من الصحابة ومكتوب عند بعضهم بالأحرف السبعة التي نزل عليها.

وفي خلافة أبي بكر الصديق حصلت معركة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة بين المسلمين والمرتدين من أتباع مسيلمة الكذّاب واستشهد في هذه المعركة كثير من قراء الصحابة وحفظة القرآن كما سبق ذكره، فهال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودخل على أبي بكر وقال له : «إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر : هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال ...»(٢٠)

وما فعله أبو بكر ليس استحداثا في الدين بل عمل بمصلحة وهي حفظ الدين، وجمع القرآن وإنْ لم يرد به دليل جزئيٌ يشهد له إلا أن هناك جملة نصوص وعدة أدلة شهدت لجنس هذه المصلحة، وهي حفظ الدين.

يقول علي بن أبي طالب : «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين».(٢١)

وهكذا جمع زيد بن ثابت القرآن في زمن أبي بكر بأمر الخليفة ولم يكن هذا العمل هيناً سهلاً على زيد لأنه أمر يحتاج إلى ورع وحيطة وأمانة وكما قال زيد : «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن».(٢٢)

وحفظ القرآن الذي جمعه زيد بن ثابت في بيت أبي بكر الصديق إلى أن توفي سنة ١٣ هجرية، وصارت الصحف بعده إلى أمير المؤمنين عمر إلى أن توفي سنة ٢٣ هجرية. ثم انتقلت الصحف إلى بيت حفصة بنت عمر أم المؤمنين ثم إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

جمع القرآن
في زمن عثمان رضي الله عنه

انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في الأمصار ينشرون دعوة الله ويعلمون الناس القرآن وأحكام الدين الإسلامي. وتأثر كل بلد بالصحابي أو الصحابة الذين وصلوا إليه فأهل العراق مثلا تأثروا بابن مسعود وعلي ابن أبي طالب فأكثروا من الرأي والقياس عند عدم وجود النص. وكذا في قراءة القرآن تعلَّم كل أهل بلد القرآن من الصحابة الذين كانوا بينهم فأخذ أهل دمشق وحمص عن المقداد بن الأسود وأهل الكوفة عن ابن مسعود، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري، وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبي بن كعب.

وكل الصحابة الذين ذُكروا أخذوا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه كان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة وكلهم يقرأ ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فإن اختلافهم هذا كان ضمن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. لكن أهل البلاد المفتوحة ما كانوا يعرفون هذه الأحرف السبعة حتى يتحاكموا إليها.

وكان يتجمع في بعض الغزوات كثير من المسلمين بعضهم يقرأ قراءة لم يتعلمها الآخر وظهر هذا جلياً في غزوة أرمينية وأذربيجان

وحصل بينهم اختلاف ونزاع والكل يقول هكذا تعلمت.(٢٣)

وكانت الفتنة كبيرة والأمر جللاً، ففزع حذيفة بن اليمان إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وقص عليه ما شاهد وسمع واقترح عليه جمع المسلمين في كل الأمصار على حرف واحد.(٢٤)

وشرح الله صدر عثمان لاقتراح حذيفة لما سمع من اختلاف شديد وفتنة كادت تدب بين المسلمين في الأمصار، بل وبين أهل المدينة مركز الخلافة، ووصل الأمر أن كفَّر بعضهم بعضا.(٢٥)

وعهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في نسخ المصاحف وجمعها على حرف واحد هو حرف قريش(٢٦) إلى زيد بن ثابت من الأنصار وإلى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام(٢٧) من قريش. وكان الأربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ وكان زيد أيضا ممن شهد عرضة القرآن الأخيرة. وما كان هؤلاء الصحابة الأربعة رضوان الله عليهم يكتبون شيئا حتى يعرضوه فيقر الصحابة بأنه أُنزِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجمع القرآن في عهد عثمان على حرف واحد هو حرف قريش، وأمر عثمان الصحابة الأربعة إذا اختلفوا في كتابة كلمة أن يكتبوها بلسان قريش لأن القرآن نزل بلسانهم، ثم أرسل عثمان رضي الله عنه إلى كل بلد مصحفاً مما نسخوا. وبذلك جمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد وأمر بحرق ما سواه بموافقة وَرِضا الصحابة رضي الله عنهم. فعن مصعب بن سعد قال : «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، وقال : لم ينكر ذلك منهم أحد».(٢٨)

مزايا مصحف عثمان الذي جمع الناس عليه(٢٩)

١ - الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحاداً.
٢ - الاقتصار على ما استقر في العرضة الأخيرة من القرآن فخلا المصحف من الآيات المنسوخة.
٣ - رتبت سوره وآياته على الوجه الذي كان يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو نفس ترتيب المصحف الذي بين أيدينا.
٤ - كتب من غير نقط ولا شكل فاستوعب بذلك وجوه القراءات المختلفة. وما لم

يستوعب من وجه القراءات كانوا يثبتون كتابته في المصحف فوزعوا وجه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد فكلمة (فتبينوا)(٣٠)قُرِئت (فتبينوا) وقُرِئت (فتثبتوا)، والرسم العثماني يستوعب القراءتين لأنه بدون نقط وقد كانت مكتوبة في المصحف هكذا (فتبينوا). أما إذا لم يستوعب الرسم العثماني ذلك فكانوا يكتبون الكلمة في بعض المصاحف برسم وفي الأخرى برسم آخر بحيث تستوعب القراءات، مثاله كلمة (وصى)(٣١) قرئت (أوصى) ومثاله أيضاً في سورة التوبة (جنات تجري تحتها الأنهار)(٣٢) وقراءة أخرى (جنات تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من) في القراءة الثانية.(٣٣)

٥ – جرد المصحف العثماني من كل ما ليس قرآناً كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحاً لمعنى أو بياناً ونحو ذلك من القراءات الشاذة، كما جاء في مصحف ابن مسعود.

(فإن فاءوا فيهن)(٣٤) بإضافة كلمة (فيهن) وكما جاء في مصحف ابن مسعود أيضا (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)(٣٥) بزيادة (متتابعات).

وهنا قد يسأل سائل فيقول، كيف جاز لعثمان رضي الله عنه وللصحابة الذين وافقوه جمع المسلمين على حرف قريش وترك باقي الأحرف، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّمهم إياها وأمرهم بقراءتها ؟

والجواب على ذلك : أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بقراءة القرآن على الأحرف السبعة ليس أمر إيجاب وفرض، بل كان رخصة وتيسيراً عليهم بدليل أنه لو كانت القراءة بالأحرف السبعة واجبة عليهم لوجب أن يتعلم كل صحابي وكل مسلم قراءة القرآن بها، ولوجب أن تنقل الأحرف السبعة بالتواتر لكن ذلك لم يحدث بل كان صلى الله عليه وسلم يُقِرُّ كل صحابي على قراءته ما دامت ضمن الأحرف السبعة.(٣٦)

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب قال : «سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها، فقال لي أرسله، ثم قال له : اقرأ. فقرأ. قال : هكذا أنزلت. ثم قال لي اقرأ، فقرأت، فقال هكذا أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا منه ما تيسر»(٣٧)

ـ التواتـــــر :

وهذا شرط من شروط القراءة الصحيحة التي تعتبر قرآناً، بل هو أهم شروط القراءة الصحيحة.(٣٨) وهناك شرطان آخران للقراءة الصحيحة :

الأول : أن توافق اللغة العربية ولو بوجه.

الثاني : أن توافق المصحف العثماني ولو احتمالاً.(٣٩)

ومعنى موافقة اللغة العربية ولو بوجه، أي ولو بوجه من وجوه قواعد اللغة سواء أكان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه بين النحاة أو مختلفاً فيه، ما دامت القراءة متواترة. فالأصل أن القرآن هو الذي يحكم على اللغة لا العكس.(٤٠)

ومثال موافقة اللغة العربية ولو بوجه قراءة نافع(٤١) لقوله تعالى : **﴿إنَّ هذان لساحران﴾**(٤٢) بتشديد النون في (إنَّ) وهذه لغة من لغات العرب. فرفع (هذان) بعد إنَّ موافق للغة العرب في بعض وجوهها عن بعض القبائل(٤٣) كقولهم : مررت برجلان، وقبضت منه درهمان. والأمثلة في ذلك كثيرة.(٤٤)

وأما موافقة المصحف العثماني ولو احتمالاً فقد سبق القول عند الحديث عن جمع القرآن أن المصحف العثماني كان خالياً من النقط والشكل وهذه مزية في المصحف العثماني جعلته يستوعب القراءات، فإن كثيراً من الكلمات التي اختلف القُرَّاء في قراءتها لا يختلف رسمها في المصحف العثماني ككلمة (ننشزها)، (ننشرها) في قوله تعالى : **﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً﴾**(٤٥) ومثالها كلمة (فتبينوا) في قراءة، وفي أخرى (فتثبتوا) في قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾**.(٤٦)

وهناك بعض الكلمات يختلف رسمها باختلاف القراءة فتكون موافقة للرسم العثماني في إحدى القراءات تحقيقاً وموافقة له في القراءة الأخرى تقديراً، ومن ذلك كلمة (مَلِك)، (مالك) في قوله تعالى : **﴿مالك يوم الدين﴾**(٤٧) فإن الأولى موافقة للرسم العثماني تحقيقاً والثانية تقديراً.(٤٨)

ثم إذا كانت الكلمة تختلف باختلاف القراءات فإن الرسم العثماني يجيء بها على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل(٤٩) وذلك نحو كلمتي (صراط، والمصيطرون) كتبت في المصحف العثماني بالصاد وعدلوا عن السين وذلك ليعلم جواز القراءة بالأصل وهو السين وكما كتبت في المصحف بالصاد.

وأما إذا قرئت الآية بزيادة كلمة في

إحدى القراءات المتواترة وعدمها في أخرى، وهذا مما لا يستوعبه الرسم العثماني في نفس المصحف، فإنهم كانوا يكتبونها في بعض النسخ بزيادة الكلمة وفي نسخة أخرى بدونها،(٥٠) مثال ذلك، قوله تعالى : في سورة التوبة ﴿**جنات تجري تحتها الأنهار**﴾(٥١)، وفي قراءة أخرى ﴿**جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ بزيادة (مِنْ) في القراءة الثانية.(٥٢)

هذا ملخص أرجو أن أكون قد وفقت فيه في مسألتي موافقة اللغة العربية ولو بوجه، وموافقة المصحف العثماني ولو احتمالاً.

وأما الشرط الأول والأهم من شروط القراءة الصحيحة فهو التواتر الذي سبق ذكره في بداية هذا المبحث وأن الصحيح اشتراط التواتر. وإذا فَقَدَت القراءة شرطاً من الشروط الثلاثة المذكورة أو أكثر سميّت شاذة.(٥٣) وقد اتفق العلماء على أن القراءة الشاذة ليست من القرآن(٥٤) واختلفوا في الاحتجاج بها :

فذهب الحنفية(٥٥) والحنابلة(٥٦) إلى أن القراءة الشاذة حجة.

وذهب المالكية(٥٧) إلى أن القراءة الشاذة ليست حجة، وحُكي ذلك رواية عن أحمد.(٥٨)

واختلف العلماء في مذهب الشافعي في هذه المسألة :

فذهب إمام الحرمين الجويني(٥٩) والآمدي(٦٠) والنووي(٦١) إلى أن الشافعي لا يحتج بالقراءة الشاذة، وهو الصحيح. وذهب ابن اللحام(٦٢) وابن النجار(٦٣) من الحنابلة إلى أن القراءة الشاذة حجة عند الشافعي.

والراجح عندي أن القراءة الشاذة حجة تثبت بها الأحكام لأنها تأخذ حكم الخبر ويستبعد أن تكون مذهباً واجتهاداً من الصحابي، فإنه لا يعقل أن يكتب الصحابي مذهبه ورأيه في القرآن من غير أن يكون سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن المسائل التي تفرعت على اختلاف العلماء في حجية القراءة الشاذة :

مسألة : وجوب التتابع في صيام كفارة اليمين :

قال تعالى : ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك**

كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾(٦٤)

قرأ ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وهذه القراءة شاذة.(٦٥)

ونتيجة لاختلاف العلماء في حجية القراءة الشاذة، اختلفوا في وجوب التتابع في صيام كفارة اليمين.

فذهب الحنفية(٦٦) والحنابلة(٦٧) إلى وجوب التتابع في الصيام.

وذهب المالكية(٦٨) والشافعية(٦٩) إلى عدم وجوب التتابع في الصيام.

ومن المسائل التي تفرعت على اختلاف العلماء في حجية القراءة الشاذة :

مسألة : ما يترتب على انتهاء وقت فيء المولي :

قال تعالى : ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾(٧٠)

قرأ ابن مسعود (فإن فاءوا فيهن)، وهذه القراءة شاذة.(٧١)

اختلف العلماء في ما يترتب على انتهاء وقت فيء(٧٢) المولي(٧٣) نتيجة لاختلافهم في حجية القراءة الشاذة.

فذهب الحنفية(٧٤) إلى أن من آلى من زوجته أربعة أشهر فصاعدا له أن يرجع إليها خلال الأشهر الأربعة، وبمجرد انقضاء الأشهر الأربعة، فإن الزوجة تطلق واحتجوا لذلك بقراءة ابن مسعود الشاذة (فإن فاءوا فيهن).

وذهب المالكية(٧٥) والشافعية(٧٦) والحنابلة(٧٧) إلى أن المولي يخير عند انقضاء الأشهر الأربعة بين الرجوع إلى زوجته أو طلاقها، ولا تطلق الزوجة قبل أن يخير المولي بين الرجوع أو الطلاق.

فإن قيل أن مذهب الحنابلة الاحتجاج بالقراءة الشاذة فكيف لا يحتجون بها في هذه المسألة.

قلنا ترجح في هذه المسألة عند الحنابلة عدة أدلة تفصيلية على هذه القاعدة.(٧٨)

● الحواشـــي ●

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٧٠-٧١.

(١) انظر لسان العرب مادة (قرأ).

(٢) سورة القيامة، آية ١٦-١٨.

(٣) انظر لسان العرب مادة (كتب) حيث نقل عن الأزهري قوله : الكتاب : اسم لما كتب مجموعاً، والكتاب مصدر.

(٤) انظر ذلك مفصلاً في البرهان للزركشي ١/٢٧٣-٢٧٦.

(٥) سورة الإسراء، آية ٩.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٥٥.

(٧) سورة الحجر، آية ٩.

(٨) سورة الشعراء، آية ١٩٢.

(٩) سورة الفرقان، آية ١.

(١٠) قد يسأل سائل فيقول ما الفرق بين الحديث القدسي وبين الحديث النبوي ما دام كل منهما ليس كلاماً لله، والجواب على ذلك : أننا نقطع بأن معنى الحديث القدسي من عند الله، أما الحديث النبوي فإن كان توقيفياً فمعناه من عند الله. وإن كان توفيقياً (اجتهاديا) فهذا ما استنبطه الرسول عليه السلام من فهمه للقرآن، ولا يمكن الفصل تماماً بين الأحاديث التوقيفية والتوفيقية لذا اعتبرناها زمرة واحدة تغاير الأحاديث القدسية وسميناها الأحاديث النبوية وقوفاً بالتسمية عند الحد المقطوع به. انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٧-٢٨.

(١١) سورة الكهف آية ١٠٩.

(١٢) رواه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٤٢٩.

(١٣) رواه ابن ماجة في كتاب الحدود باب الرجم ٢/٨٥٣.

(١٤) سورة الجمعة، آية ٢.

(١٥) انظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي ص ١٧ وما بعدها.

(١٦) مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٤٢. وقد ناقش الشيخ الزرقاني رحمه الله دعوى من يقول إن عدد الصحابة الذين حفظوا القرآن كان قليلاً وأثبت بطلان تلك الدعوى.

(١٧) كذا كانت وسائل الكتابة عندهم بدائية :
والعُسُب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها، والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف. انظر القاموس المحيط فصل العين باب الباء.
واللخاف : جمع لخفة وهي حجارة بيض رقاق. انظر القاموس المحيط فصل الكاف واللام باب الفاء.
والرقاع : جمع رقعة وهو ما يكتب عليه من جلد أو ورق. انظر تاج العروس مادة (رقع) وقطع الأديم : قطع الجلد. انظر القاموس المحيط فصل الهمزة باب الميم.

(١٨) مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٤٧، إعجاز القرآن للرافعي ص ٣٢.

(١٩) مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٤٦.

(٢٠) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/٩٨، وانظر إعجاز القرآن للرافعي ص ٣٣، وانظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٥١.

(٢١) انظر قول عليّ هذا في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١١ وقد ذكر عدة روايات بهذا المعنى ص ١١-١٢. وإسناد الرواية التي بين أيدينا : حدثنا عبد الله قال : حدثنا يعقوب ابن سفيان قال حدثنا سفيان عن السدى عن عبد خير قال سمعت عليا يقول : (أعظم الناس .....) وسند هذه الرواية حسن كما قال الزرقاني في مناهل العرفان ١/٢٥٣.

(٢٢) جزء من حديث سبق تخريجه رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/٨٩.

(٢٣) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/٩٩، وانظر كتاب المصحاف لابن أبي داود ص ٢٦-٢٧.

(٢٤) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٦٠.
وانظر قصة حذيفة مع أمير المؤمنين عثمان في صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/٩٩.

(٢٥) انظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٨-٢٩، مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٥٦.

(٢٦) ما أثبته هو الراجح عندي وهو أن عثمان رضي الله عنه أمر بجمع القرآن على حرف واحد هو حرف قريش وأمر بحرق ما سواه ووافقه الصحابة على ذلك. قال الطبري في تفسيره ١/٦٣-٦٤ وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وحرق - أي مزق - ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه، فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها....)

(٢٧) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/٩٩.

(٢٨) كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٩.

(٢٩) راجع هذه المزايا في مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٦٠-٢٦٢.

(٣٠) قال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾** سورة الحجرات، آية ٦.

(٣١) قال تعالى : **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾** سورة البقرة آية ١٣٢.

(٣٢) سورة التوبة، آية ١٠٠.

(٣٣) كل القراءات المذكورة قراءات صحيحة متواترة أثبت فيها جميعا أولا قراءة حفص عن عاصم. انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٢٥٨، ٢٦١، ٣٧٣.

(٣٤) قال تعالى : **﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾** سورة البقرة آية ٢٢٦ وانظر في ذلك زاد المعاد ٤/١٧٥.

(٣٥) قال تعالى : **﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾** سورة المائدة آية ٨٩. انظر في ذلك تفسير القرطبي ٦/٢٨٣.

(٣٦) تفسير الطبري ١/٦٤.

(٣٧) صحيح البخاري كتاب الخصومات باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ٣/٩٠، وقد روى البخاري هذا الحديث في مواضع أخرى من صحيحه.

ولببته بردائه : جعلته في عنقه وجررته به.

(٣٨) يشترط في القراءة الصحيحة التواتر كما أثبت خلافاً لابن الجزري الذي يشترط صحة السند ولا يشترط التواتر. وممن اشترط تواتر القراءة من العلماء : الأئمة الأربعة، ابن عبد البر، ابن عطية ابن تيمية، النووي، الأسنوي، السبكي، الزركشي، ابن الحاجب، ابن عرفة، الغزالي، صدر الشريعة، موفق الدين المقدسي، وابن مفلح والطوفي. انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٤٢٩، ٤٤٠. وقد سجل الزرقاني رجوعه إلى قول من اشترط التواتر خلافا لقوله الأول باشتراط صحة الإسناد فقط.- انظر مناهل العرفان ١/٤٣٩-٤٤٠.

(٣٩) انظر هذه الشروط الثلاثة في نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٦٤-٢٦٥.

(٤٠) انظر مناهل العرفان للزرقاني ١/٤٢٢.

(٤١) مناهل العرفان ١/٣٧٣.

(٤٢) سورة طه، آية ٦٣.

(٤٣) هذه لغة بلحرث بن كعب. انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦.

(٤٤) انظر الكلام مفصلاً في هذه المسألة في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦-٤١.

(٤٥) سورة البقرة، آية ٢٥٩.

(٤٦) سورة الحجرات، آية ٦.

(٤٧) سورة الفاتحة، آية ٤.

(٤٨) مناهل الفرقان ١/٤١٩، من روائع القرآن للبوطي ١٢٤.

(٤٩) مناهل العرفان ١/٣٧٣.

(٥٠) مناهل العرفان ١/٤١٩.

(٥١) سورة التوبة، آية ١٠٠.

(٥٢) مناهل العرفان ١/٢٥٨-٢٥٩.

(٥٣) نيل الأوطار للشوكاني ٢/٢٦٤-٢٦٥.

(٥٤) أصول الفقه الإسلامي د. شلبي ١/٧٧.

(٥٥) أصول السرخسي ١/٢٨١، فواتح الرحموت لعبد العلي الأنصاري ٢/١٦.

(٥٦) شرح الكوكب المنير لابن النجار ٢/١٣٨، القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام ص ١٥٦.

(٥٧) مختصر المنتهى لابن الحاجب ١/٢١.

(٥٨) القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام ص ١٥٦.

(٥٩) البرهان في أصول الفقه للجويني ١/٦٦٦.

(٦٠) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١/١٦٠.

(٦١) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/١٣٠-١٣١.

(٦٢) القواعد والفوائد الأصولية ص ١٥٦.

(٦٣) شرح الكوكب المنير ٢/١٣٨.

(٦٤) سورة المائدة، آية ٨٩.

(٦٥) تفسير القرطبي ٦/٢٨٣.

(٦٦) بدائع الصنائع ٦/٢٩٣٠.

(٦٧) كشاف القناع ٦/٢٤٣.

(٦٨) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ٢/٢١٤ والمالكية وإن كانوا لا يوجبون التتابع في صيام كفارة اليمين إلا أنه يندب عندهم التتابع.

(٦٩) نهاية المحتاج شرح المنهاج ٨/١٧٤.

(٧٠) سورة البقرة آية ٢٢٦-٢٢٧.

(٧١) زاد المعاد ٤/١٧٥.

(٧٢) الفيء معناه الرجوع عند بعض العلماء، ومعناه الجماع عند آخرين. انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/١٧٩، التفسير الكبير ٦/٨١، تفسير القرطبي ٣/١٠٩، المغني ٧/٥٥٣.

(٧٣) المولي : هو الذي يحلف بالايلاء.
والإيلاء : هو اليمين على ترك قربان الزوجة أربعة أشهر فصاعدا بالله أو بتعليق ما يستشقه على القربان.
انظر شرح فتح القدير ٤/٤٠.

(٧٤) الهداية مع شرح فتح القدير ٤ـــ٤٢-٤٣، بدائع الصنائع ١٧٦/٣.

(٧٥) الخرشي على مختصر خليل ٤/٩٠-٩١.

(٧٦) الأم ٢٥٣/٥، الرسالة ص ٥٧٨.

(٧٧) كشاف القناع ٥/٣٦٢-٣٦٣.

(٧٨) ذكر ابن القيم في زاد المعاد ٤/١٧٦-١٧٨ عشرة أدلة تؤيد مذهب الحنابلة في أن الزوجة لا تطلق قبل أن يخير المولي بين الرجوع أو الطلاق.

مراجع البحـــث

- القرآن الكريم
- الإحكام في أوصول الأحكام لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي ت سنة ٦٣١هـ.
تعليق عبد الرزاق عفيفي.
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ.
- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ت سنة ٥٤٣هـ
تحقيق محمد علي البجاوي
طبع عيسى الحلبي.
- أصول السرخسي لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي ت سنة ٤٩٠هـ.
طبع سنة ١٣٩٣هـ.
دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
- أصول الفقه الإسلامي د. محمد مصطفى شلبي.
الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣م
الدار الجامعية للطباعة والنشر بيروت
- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي
الطبعة الثامنة سنة ١٩٦٥م المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني ت سنة ٥٨٧هـ.
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت.
- البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ت سنة ٤٧٨هـ
تحقيق د. عبد العظيم الديب
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن لأبي الحسن محمد بن عبد الله الزركشي ت سنة ٧٩٤هـ.
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم
الطبعة الثانية مطبعة عيسى الحلبي بمصر.
- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت سنة ٢٧٦ هـ
شرح وتحقيق : سيد أحمد صقر
طبع دار إحياء الكتب العربية بمصر.
- التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ت سنة ٦٠٦هـ
طبع دار الكتب العلمية بطهران.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ.
طبع سنة ١٩٦٧م دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة.
- جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت سنة ٣١٠هـ
تحقيق محمود شاكر
طبع دار المعارف بمصر
- الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت سنة ٢٥٦هـ.
طبع المكتب الإسلامي استانبول تركيا.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي دار المعارف لبنان.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم ت سنة ٧٥١هـ.
مطبعة السنة المحمدية.
- شرح الخرشي علا مختصر خليل لمحمد بن عبد الله الخرشي ت سنة ١١٠١هـ
طبع دار صادر بيروت
- الشرح الصغير على أقرب المسالك لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير
الناشر دار المعارف بمصر

- شرح النووي على صحيح مسلم ليحيى بن شرف النووي ت سنة ٦٧٧هـ.
  طبع دار الفكر
- شرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد بن النجار الفتوحي ت سنة ٩٧٢هـ.
  تحقيق : د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد
  طبع دار الفكر دمشق سنة ١٤٠٠هـ،
  منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري ت سنة ١١٢٥هـ
  الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ المطبعة الأميرية.
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ت سنة ٨١٧هـ
  طبع المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت.
- القواعد والفوائد الأصولية لعلي بن عباس البعلي ابن اللحام ت سنة ٨٠٣هـ
  تحقيق : محمد حامد الفقي
  مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ.
- كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن ادريس البهوتي ت سنة ١٠٥١هـ
  الناشر مكتبة النصر الحديثة الرياض.
- المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة ت سنة ٦٢٠هـ
  الناشر مكتبة القاهرة سنة ١٣٩٠هـ.
- المصاحف لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
  الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت. توزيع دار الباز مكة المكرمة
- من روائع القرآن د. محمد سعيد رمضان البوطي
  الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٥م مكتبة الفارابي.
- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني
  طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أحمد الرملي الشهير بالشافعي الصغير ت سنة ١٠٠٤هـ.
  دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ
  طبعة أخيرة. مطبعة مصطفى الحلبي.
- الهداية شرح بداية المبتدي لعلي بن أبي بكر المرغناني ت ٥٩٣هـ.
  مطبوع مع العناية وشرح فتح القدير. دار إحياء التراث العربي بيروت.